

## مؤتمر الأزهر في القاهرة يثير إشكالات تنقيح التراث وتجديد الثقافة الإسلامية

الإسلامية، بينها انتشار موجات التطرف والعنف نتيجة المفاهيم المغلوطة التي تروجها الجماعات المنحرفة. وأضاف آل الشيخ، لـ"العرب"، أن "تجديد الخطاب الديني ليس كما يفهمه المغفلون بأنه تغيير للشرع أو هجوم على الثوابت أو تحريف للكلام عن مواضعه، وإنما هو تدبير للخطاب وفهمه في العصور المتأخرة على سنن السابقين الأولين".

وترى مؤسسة الأزهر أن المطلوب في التجديد، إمعان النظر في نصوص القرآن والسنة والأحكام الفقهية، وإعادة قراءتها بصورة ملتزمة بكل القواعد التي حرص عليها أئمة التفسير والحديث والأصول، بهدف تحديد الموقف الشرعي من القضايا المعاصرة الملحة التي تتطلب حلاً شرعياً يطمئن إليه العلماء والمتخصصون.

ويتنقده بعض المثقفين في مصر حصر جهود تجديد الخطاب في مؤتمرات الأزهر والمؤسسات الدينية فقط، واعتمادها على الخطب والجلسات الحوارية المغلقة التي ليس لها صدى كبير أو انعكاسات إيجابية على واقع المسلمين وعلى تفعيل المؤسسات الدينية في تطوير الخطاب الديني ورؤية الفكر الإسلامي للتعايش بين أتباع الأديان والمعتقدات والمذاهب ومعالجة المشكلات الفكرية، واستثمار القوة الشريفة في التنمية الاقتصادية والنهضة الحضارية.

وأوضح الشيخ أحمد المرابط الشنقيطي، مفتي موريتانيا، لـ"العرب"، أن الجماعات المتطرفة تستهدف دولا عدة في أفريقيا عبر نشر المفاهيم الخطأ لدى الشباب، ما يؤكد أهمية مواجهة الفكرية لتلك الجماعات الضالة، وعندما تفند المؤسسات الدينية الكبرى أكاذيب المتطرفين، فهذا يسهل من مهمة علماء الدين في أفريقيا.

ولفت الشيخ مهاجري زيان، رئيس الهيئة الأوروبية للمراكز الإسلامية، إلى أن أبناء الجاليات المسلمة في الخارج يدركون أهمية قضية تجديد الخطاب الديني للتصدي للإسلاموفوبيا وحملات البين المتطرف. وأضاف زيان، أنه لا يمكن الحديث عن توعية الجاليات المسلمة في الخارج، دون دراسة آليات تجديد الخطاب الديني، وتفكيك المفاهيم المغلوطة، لأن القضايا التي تناقش داخل العالم الإسلامي ترتبط بشكل أساسي بمشاكل تعرض لها الجاليات المسلمة، لأن المفاهيم المغلوطة التي تتاجر بها الجماعات المتطرفة كانت سببا في تجنيد العديد من شباب أوروبا للقتال في صفوف تنظيم داعش والجماعات الضالة.

وتتهم الجاليات الأجنبية بتفكيك المفاهيم المغلوطة المتعلقة بالجهاد والقتال في الخطاب الدعوي عبر الفضاء الإلكتروني، بجانب التركيز على قيم المواطنة والتسامح والتعايش السلمي وقبول الآخر، في ظل مساعي الجماعات المتطرفة لاستقطاب الشباب من خلال وسائل التواصل الحديثة وشبكة الإنترنت.

جاء انعقاد مؤتمر التجديد في الفكر الإسلامي بالقاهرة، الاثنين، كمحاولة من مؤسسة الأزهر مواجهة الاتهامات المستمرة لها بالجمود الفكري، لكن أثرت في الوقت ذاته إشكالات حول حصر استمرار استحداث لجان ومراكز جديدة لتطوير الخطاب الديني وقصر تشكيلها على رجال الدين، رغم وجود مؤسسات أخرى تقوم بالدور ذاته.

والأسرة، ودور المؤسسات الدولية والدينية والأكاديمية في تجديد الفكر الإسلامي، والأحكام الشرعية بين الثابت والمتغير، والمؤسسات المعنية ودورها في التجديد، وعرض مظاهر التجديد التي قام بها الأزهر قديما وحديثا، وتفكيك المفاهيم المغلوطة المتعلقة بالجهاد في الفضاء الإلكتروني. وأشارت الجلسة المتعلقة بحصر المؤسسات المعنية بالتصدي للتجديد في مصر إشكالات تتعلق بمحاولة مؤسسة الأزهر اعتبارها قضية خاصة بها فقط، مع ربطها بمقال نشره الشيخ أحمد الطيب في الجريدة الصادرة باسم المشيخة "صوت الأزهر" قبل عام، شن فيه هجوماً حاداً على الآراء الدارجة في وسائل الإعلام حول تلك القضية الشائكة والاقتراحات التي قدمتها.

وأكد أن الأصوات التي تنادي بإلغاء الخطاب الديني، جملة وتفصيلاً، هدفها تحويل الأزهر إلى متحف من متاحف التاريخ، أو وضع أيديهم عليه لتجديد رسالته ودعوته عند حدود التعدي بمنهج واحد، واعتقاد معين، وأشكال ورسوم يرونها الدين لا دين غيره.

### العالم العربي يحتاج إلى خطاب ديني جديد، ما يستدعي تنقية كاملة من المذاهب الطائفية والقومية

ويرى البعض من الباحثين، أن العالم العربي يحتاج إلى خطاب ديني جديد بعدما أصبح التعبد بالمذاهب وليس بالدين، ما يستدعي تنقية كاملة للإسلام من المذاهب الطائفية والقومية. ويقول الدكتور علوي أمين، أستاذ الفقه بجامعة الأزهر، لـ"العرب"، إن "مؤتمر تجديد الفكر الإسلامي رسالة لمن يتهمون الأزهر ويحملونه جزءاً من مسؤولية عدم التجديد، وهذه الأصوات لا تترك منهج أو رسالة المؤسسة الدينية في الدفاع عن الإسلام والمسلمين". وتقوم مؤسسات دينية عربية بتحركات حثيثة لقطع الطريق على الجماعات التي تستهدف ضرب الدول بنشر الأفكار المتطرفة، فالقضية المحورية هي مواجهة الإرهاب وأصاحت في مقدمة الأولويات لمكافحة الغلو والتطرف ونشر ثقافة الحوار والتسامح. وأشار الدكتور عبداللطيف آل الشيخ، وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودي، إلى أن مؤتمر الأزهر جاء في خضم تحديات تواجه الأمة

### نادر أبو الفتوح كاتب مصري

القاهرة - أثار قرار الأزهر الشريف إنشاء مركز دائم لتجديد التراث الديني يضم علماء المسلمين من داخل مصر وخارجها، على هامش "مؤتمر الأزهر العالمي للتجديد في الفكر الإسلامي"، جدلاً حول حصر مسؤولية تنقيح التراث وتجديد الثقافة الإسلامية كقضية محورية لمواجهة الإرهاب في اللجان والمراكز النظرية المعتمدة في تشكيلها على جهات دينية فقط.

وتملك مؤسسة الأزهر، عبر مجمع البحوث الإسلامية التابع لها، نحو 12 لجنة علمية بعضها قائم منذ الثمانينات، تُحال إليها القضايا المطروحة على الساحة، والمتعلقة بتجديد الثقافة الإسلامية وتجديدها من الفضول والشوائب وأثار التعصب السياسي والمذهبي، ما يجعل المركز الجديد إضافة لا تحمّل قدراً كبيراً من الأهمية. تثير قضية تجديد الخطاب الديني جدلاً مستمرا بين رجال الدين وبين المؤسسات الرسمية بمصر، وقطاع من المثقفين الذين يوجهون اتهامات مبنيّة لمؤسسة الأزهر بالمسؤولية عن الجمود والتوقف الذي يعترى الخطاب الديني، ما يؤدي إلى انتشار التطرف والعنف.

وأكد الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي على ضرورة تجديد الخطاب الديني منذ ستة أعوام باعتباره عنصراً رئيسياً في مواجهة تيارات الإسلام السياسي، وتختلف عن حضور مؤتمر الأزهر في اللحظات الأخيرة قبل انطلاقه، فاتحا الباب للتأويلات بعدما اكتفى بإبادة رئيس الوزراء مصطفى مدبولي لإلقاء كلمة باسمه حملت رابطاً بين التشدد وغياب التجديد.

واعتبر مدبولي، في الكلمة التي القاها في المؤتمر نيابة عن السيسي، أن التراخي عن الاهتمام بمفك الخطاب الديني ترك الساحة لأدعياء العلم ليحطفوا عقول الشباب، ويدسوا أحكاماً شرعية، واعتبر أن التجديد الذي يتطلع إليه ليس في ثوابت الدين ولا العقيدة ولا الأحكام المتفق عليها، بل في فقه المعاملات بمجالات الحياة العلمية. وتسارع السيسي باستنكار في

جلسة "تحديات الإرهاب" بمؤتمر الشباب للناقص الذي عقد في ديسمبر الماضي، حول كيفية رؤية رجال الدين لتأثير عدم المواجهة الفكرية وتصويب الخطاب الديني في ظل الحرب ضد الإرهاب، وقال "إنت مش صدق (كيف لا تصدق) أنك متأخر 800 سنة في تفسيرك لبعض النصوص".

يواجه تجديد الخطاب الديني معركة بين طرفين شديد التناقض: اتجاهات فكرية تتمركز حول التراث وتعتبر دعوات تجديد استجابة لتيارات غربية لهدم الإسلام، وأخرى تريد نسفاً كاملاً للتراث وتعتبره أصل الأزمات، وسبباً في عرقلة النهضة والتقدم. وقال شيخ الأزهر في كلمته أمام "مؤتمر الأزهر العالمي للتجديد في الفكر الإسلامي"، إن الإسلام ظل مع التجديد ديناً قادراً على تحقيق مصالح الناس، وإغرائهم بالنموذج الإسلامي في معاملاتهم وسلوكهم، بغض النظر عن أجناسهم وأديانهم ومعتقداتهم.

وأضاف أنه مع الركود والتقليد والتعصب بقي الإسلام مجرد تاريخ يُعرض في متاحف الأثر والحضارات، وهذا المصير البائس لا يزال يشكل أصلاً وحلماً يداعب خيال المترقبين في الغرب والشرق، بالإسلام وحده دون سائر الأديان والمذاهب، ومن هؤلاء من ينتمي إلى الدين الإسلامي باسمه وبمولده.

ودفع المؤتمر بكلمة التجديد كعنصر أساسي في كل جلساته التي تستمر يومي الاثنين والثلاثاء، بين مفاهيم التجديد، والياته ودواعيه، وتفكيك المفاهيم المغلوطة، وقضايا المرأة

## التطرف والإرهاب: أزمة منهج أم أزمة فضاء إلكتروني؟ الأزهر يبحث عن مشجب يعلّق عليه أخطاء الماضي والحاضر



### الدين لله والوطن للجميع

السابقين، ماذا سيكون رد فعله؟ بالتأكيد سيرى أن هاتين العبارتين قيلتا في زمن وظرف مختلفين عن زمننا وظرفنا، وبالتالي هي توجيهات غير ملزمة.

شباب آخر نشأ في بيئة متشددة، ترى بالآخر المختلف كافراً وعدواً يستحق القتل، سيجد في العبارتين ما يعمق الكراهية في داخله ضد الآخر المختلف، وتحرضه على إنزال العقاب به، وحتى قتله.

هذا خطاب لا يحتاج فقط للتجديد، بل للنسف والتغيير الكلي. واليوم ينظم الأزهر مؤتمراً عالمياً يقول إنه مؤتمر لـ"التجديد في الفكر الإسلامي"، تشارك فيه مجموعة من الشخصيات السياسية والدينية على مستوى العالم، وممثلون من وزارات الأوقاف ودور الإفتاء والمجالس الإسلامية من 46 دولة.

وتركز المحاور الرئيسية للمؤتمر على أطر مفاهيم التجديد وآلياته، وتفكيك المفاهيم المغلوطة، وقضايا المرأة والأسرة، ودور المؤسسات الدولية والدينية والأكاديمية في تجديد الفكر الإسلامي.

وتتناول محاور مؤتمر الأزهر مسائل من قبيل تفكيك المفاهيم المغلوطة، المتعلقة بالجهاد والقتال في الخطاب الدعوي عبر الفضاء الإلكتروني. وتركز على إبراز المواطنة من خلال رؤية شرعية معاصرة.

ويفند المؤتمر الأفكار الإرهابية المتطرفة، ويركز على إبراز واجب الدولة نحو حماية أخلاقيات المجتمع من مخاطر وسائل التواصل والمواقع الضارة، والحديث عن السياحة والآثار "كملكية الدولة للأثار وحماية السائحيين والآثار".

ويناقش المؤتمر قضايا تحديات التجديد، وعلى رأسها ما يشيخه البعض من تفكير الأمة واعتزالها في الخطاب الدعوي، وظاهرة تقديس الفرد عند الجماعات الإرهابية، واستخدامها للتراث وتعتبره أصل الأزمات، وسبباً في عرقلة النهضة والتقدم. وأخيراً يستعرض المؤتمر المؤثرات السياسية والاقتصادية والأمنية والتكنولوجية على التجديد. ورغم أهمية المواضيع المطروحة، لا نستطيع أن نكون متفائلين. سبق للأزهر أن قدم الوعود، وفي كل مرة كان ينكس وعده.

واليوم يبدو أن القائمين على الأزهر، يبحثون عن مشجب يعلقون عليه فشلهم وانحيازهم للتشدد والغلو، ليجدوا ضاللتهم في الإنترنت ووسائل الاتصال الاجتماعي. رغم ذلك، نأمل أن يكون المؤتمر، ليس فقط مناسبة لمراجعة الآثار السلبية للفضاء الإلكتروني، بل مراجعة للنفس، واعترافاً بأخطاء الماضي حتى يمكن تجاوزها.

أربع كلمات فقط تكفيها من الأزهر وضيوفه، برهانا على أنهم جادون في التغيير والتجديد: الدين لله والوطن للجميع.

يبدو أن الأزهر والفاتيكان اتفقا على توجيه اللوم إلى الفضاء الإلكتروني، وتحمله مسؤولية انتشار ثقافة العنف والتطرف والإرهاب، فهو حسب المؤسستين الأكبر تأثيراً بين المؤمنين، مليء بالمغالطات والأفكار الهدامة. في هذا الموقف تحامل كبير على الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي، والأخطر أنه يخفي نزعة للتوصل من تحمل مسؤولية أخطاء ارتكبت على مدى قرون.

### علي قاسم كاتب مصري مقيم في تونس

ويحذرون من تأثيراته السلبية على عقول الشباب؟ الفضاء الإلكتروني، هو وسيط مفتوح للمعلومات يعتمد على حرية الاختيار؛ يساهم فيه الجميع، أفراداً ومؤسسات وحكومات، وأهم ما يميزه هو غياب المعلم والموجه، وما كان لتأثيره السلبي الذي يحذرون منه أن يوجد، لولا أن المتلقي مشبع مسبقاً بالأفكار السلبية، ومهيأ لتقبل الفكر المتشدد.

هناك من يبحث عبر الفضاء الإلكتروني عن معلومات تعزز قيم التسامح والحب، قيم الجمال والرغبة في الحياة، ومنهم من يجتهد لإنقاذ كوكب الأرض، ويدعو لإنهاء الحروب. وهناك أيضاً من يدعو للكراهية ومعاداة الحياة والقتل ونفاقة الانتقام.

من نشأ في جو من الحب واحترام الحياة سيجد في الفضاء الإلكتروني ضالته، ومن نشأ في جو الكراهية سيجد هو الآخر فيه ضالته. مع الأسف، الذين نشأوا على المناهج الدراسية التي يعتمدها الأزهر لم يتعلموا حب الحياة أو ثقافة التسامح.

كفاية لشر الكافر أن يفقا عينه، أو يقطع يديه ورجليه؛ هذا بعض مما تعلموه، وأول صورة تتبادر لأذهاننا، هي صورة لخطيب من تنظيم داعش يحض أتباعه قبل الانطلاق في غزوة.

ولكنها، في حقيقة الأمر، فقرة من كتاب مقرر على طلاب المرحلة الثانوية في الأزهر، هو "الإقناع في حل الفاظ أبي فناء".

وفي الصفحة 357 من نفس الكتاب، يعلم الأزهر طلابه إهانة أصحاب الديانات الأخرى المخالفين لهم، فـ"الجزية تؤخذ من الكتابي على وصف الذل والصغار".

وليس هذا فقط بل يكون المسلم الجاني جالساً والذمي واقفاً ويأخذ بتلابيبه ويهزه هزاً ويقول "أعط الجزية يا عدو الله".

وفي توجيه ثان، حفل به مقرر آخر يدرسه الأزهر لطلابه، هو "الاختيار لتعليل المختار في فقه أبي حنيفة"، نقراً في الصفحة 338 ما يلي "وإذا فتح الإمام بلدة عنوة إن شاء قسمها بين الغانمين، وإن شاء أقر أهلها عليها ووضع عليهم الجزية، وعلى أراضيهم الخراج، وإن شاء قتل الأسرى، أو استرقهم، أو تركهم ذمة للمسلمين".

لنتخيل الآن السيناريو التالي: شاب تربى في بيئة متسامحة، تحترم الأديان، ولا تفرق بينها، صادف أثناء بحثه على الفضاء الإلكتروني العبارتين



دعوة الأزهر والفاتيكان الأخيرة إلى مد جسور التعاون بين المؤسسات الدينية في العالم، واعتبارها ضرورة ملحة من أجل الإنسانية، ودعم الخطاب الديني المعتدل ومكافحة الأفكار المتطرفة، مرحب بها، ولكنها تبقى منقوصة إن لم يسبقها الاعتراف وتحمل مسؤولية الوضع الذي وصلت إليه البشرية من شاعر حقد ونزعات طائفية.

تاريخياً، تم تحويل الأزهر إلى جامعة لتلقي العلوم الدينية عام 988، في عهد الخليفة الفاطمي العزيز بالله. وكان الفاطميون قد فتحوا مصر في عهد المعز لدين الله، وما إن تحققت لهم السيطرة على البلاد حتى باسروا بوضع أساس مدينة القاهرة عام 969، وبعد عام من ذلك التاريخ وُضع أساس جامع الأزهر.

### القائمون على الأزهر يبحثون عن مشجب يعلقون عليه فشلهم وانحيازهم للتشدد، ليجدوا ضاللتهم في الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي

لم يبخل الخلفاء الفاطميون على الأزهر بالرعاية، فزودوه بالكتب والمراجع التي ييسرت للطلاب مهمة الاطلاع والبحث، كما حرصوا على تخصيص موارد للإنفاق، فأوقفوا عليه الأحياس، وحذا حذوهم الكثير من الأثرياء من أهل الخير؛ الذين انفقوا على فرشته وإنارته وتنظيفه وإمداده بالماء، وعلى رواتب الخطباء والمشرفين والأئمة من مختلف المذاهب الفقهية.

لعب الأزهر، في البداية، دوراً سياسياً وثقافياً وروحياً بارزاً، ليس في حياة المصريين فحسب، بل في حياة المسلمين والعرب. وحرص على أن يرسخ في أذهان طلابه أن الإسلام "مواكب لكل زمان ومكان"، وأنه يمثل اللوسطية، داعياً للتطور في فهم النصوص الدينية. إلا أن هذا لم يدم طويلاً، وسرعان ما تخلى القائمون عليه عن تطوير المنهج الدراسي، الذي لحق به الجمود. عن أية مخاطر يتحدث القائمون على الأزهر والفاتيكان، عندما يوجهون اللوم إلى الفضاء الإلكتروني،



الحاجة ملحة إلى خطاب ديني جديد